(نسألك الثبات –3– عوامل الثبات –الجزء الثاني–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 24 – 27]

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7]

عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه أنّه قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقول في صلاته: **«اللهمّ إنّي أسألك الثّبات في الأمر، والعزيمة على الرّشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شرّ ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم»** [النسائي وهذا لفظه. والترمذي، وأحمد].

أيها الإخوة:

تتحدثُ خُطَب رمضان الأربع عن الثباتِ على الحق، والاستقامة على البرِّ، والصبرِ على الطاعة، والتمسُّك بالكتاب والسنة.

في زمنٍ كثُرت فيه الفتنُ، وزادتْ فيه الشهواتُ وترعْرَعتِ الشكوكُ والشبهاتُ، فراحَ المسلمُ القابضُ على دينِهِ يبحثُ فيه عن عاصمٍ، ويفتشُ عن مثبِّت.

تحدثَتِ الخُطبةُ الأولى عن معنى الثبات وأهميته، والخطبةُ الثانيةُ عن ثلاثة عواملَ من عوامل الثبات، وتتحدث خُطبة اليوم عن **(ثلاثة جديدة من عوامل الثبات)**.

ما الأمورُ التي تعينُك على الثباتِ على الحق، والاستمرارِ في طريق الهدى؟.

ما المعيناتُ التي تحميكَ من الزلزلة والارتجاج إذا مرَّتْ بكَ فِتَنٌ أو عصفتْ بكَ شدائد؟.

ما العواملُ التي إن تمسكْتَ بها صمدتَ أمامَ الشبهات، وقويتَ أمامَ الشهوات؟.

عنوان خطبة اليوم:

(عوامل الثبات -2-)

(اشتكى ابنٌ لأبي طلحةَ، فماتَ وأبو طلحةَ خارج، فلما رأتِ امرأتُهُ أنه قد ماتَ، قالتْ لأهلها: لا يكلِّمْ أحدٌ أبا طلحة قبلي، فلما دخلَ سألَ عن الصبي، فقالت: إنه قد هدأ مما كان، وقدَّمتْ له طعاماً فأكل، ثم تصنَّعتْ له حتى واقعها، ثم قالتْ: يا أبا طلحةَ، أرأيتَ قوماً أودعوا قوماً وديعةً ثم طلبوها منهم، أفما يجبُ أن يؤدوها إليهم؟. قال: بلى، قالت: فاحتسبِ ابنكَ.

فلما كان الصباحُ ذهبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكوها إليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**بارك الله لكما في غابر ليلتكما**».

قال سفيانُ بن عُيينة: فقال رجلٌ من الأَنصار: (فرأيتُ لهما تسعةَ أولادٍ، كلُّهم قد قرأ القرآنَ) [أخرجه البخاري].

تُرى، كيف ثبتتْ هذه الأمُّ في موقفٍ تتزلزلُ فيه كثيراتٌ؟!.

وكيفَ صبرتْ وصمدتْ في بليةٍ تجزعُ منها أخريات؟!.

كيف نثبت عند البلياتِ؟ وكيف نصمدُ أمامَ الشهواتِ والشبهاتِ؟.

إنها عواملُ الثبات

وجدتُ من عواملِ الثباتِ ستةً، عرضتِ الخطبةُ الماضيةُ لثلاثة: (اللجأ إلى الله تعالى، وقراءة القرآن الكريم بتدبر، والتربية الإيمانية العلمية الواعية). وتعرض خطبة اليوم لثلاثةٍ أُخَر:

أولها- الإكثار من ذكر الله:

ذلك لأنَّ الذكرَ يورثُ القلبَ سكينةً وطمأنينةً ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] ويهبُ العبدَ صلةً بمولاه «**أنا جليس من ذكرني**» [البيهقي في شعب الإيمان] ويهبك مقام المعية «**أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركتْ بي شفتاه**» [البخاري في التراجم وأحمد وابن ماجه] ويعطيكَ مدداً من حضرة الله تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152]

فكيف يتزلزلُ من اطمأنَّ قلبُه للأقدار، واتصل بسيده الرحيم الستار، واستمد من مدد الكريم الغفار؟.

كيف لا يثبتُ من كان لله ذاكراً، ولنعمائه شاكراً، وبحمده مجاهراً؟.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45].

فقرنَ اللهُ تعالى بين الذكرِ والثباتِ، وجعلَه مما يعينُ على الثبات في أصعبِ اللحظات.

قال أحدُ العلماء: (بماذا استعانَ يوسفُ عليه السلام في الثبات أمام فتنةِ المرأةِ ذاتِ المنصب والجمال لما دعتْهُ إلى نفسها؟

ألم يدخل في حصن: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ. . .﴾ [يوسف: 23]. فتكسَّرتْ أمواجُ جنودِ الشهواتِ على أسوار حصنِه؟ وكذا تكون فاعليةُ الأذكار في تثبيت المؤمنين).

فمهما استطعتَ -أيها الأخ- أن تكون مشغولاً بالذكر فافعلْ، في ليلك ونهارك، في سرِّكَ وقرارِكَ في عملك ودارك.

قال صلى الله عليه وسلم: «مثلُ الذي يذكرُ ربَّهُ والذي لا يذكرُ ربَّه كمثلِ الحيِّ والميِّت» [البخاري ومسلم] فالذاكرُ حيٌّ، والغافلُ عن الذكر ميتٌ، ولو كان يعيشُ بين الأحياء.

وقال تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني» [البخاري ومسلم]

فهل تريدُ شيئاً أعظمَ من أن يكونَ اللهُ معك؟ وإذا كان الله معكَ فمن يكيدك؟ ومَن ضدك؟.

ثانيها- التزام أمر الله ونهيه:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: 66 - 68]

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ السَّبِيعِيُّ: لَمَّا نَزَلَتْ (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ) الْآيَةَ، قَالَ رَجُلٌ: لَوْ أُمِرْنَا لَفَعَلْنَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي رِجَالًا الْإِيمَانُ أَثْبَتُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي». [تفسير القرطبي]

إنَّ تطبيقَ أمرِ الله تعالى في السراء والضراء، إنَّ التزامَ أمرِ الله تعالى ونهيِه يُعينُ على الثبات على الحق في النائبات، وهذا بيّن، وإلا، فهل نتوقَّع ثباتاً من الكسالى القاعدين عن الأعمال الصالحة إذا أطلَّتِ الفتنةُ برأسها وادلهمَّ الخطبُ؟!.

ولكنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم صراطاً مستقيماً؛ ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يثابر على الأعمال الصالحة، وكان أحب العمل إليه أدومه وإن قل. وكان أصحابه إذا عملوا عملاً أثبتوه. وكانت السيدةُ عائشة رضي الله عنها إذا عملتِ العملَ لزمتْهُ.

فصومُ رمضان، وأداءُ الزكاة، والمحافظةُ على الصلواتِ المكتوباتِ، وتركُ المحرمات المنهيات، والاجتهادُ في النوافل... معيناتٌ على الثبات في زمن الاضطراب، ومن أجل هذا رأينا الصالحين يتفنَّنون بالعمل الصالح في الأوقات عامةً وفي أوقاتِ الشدة خاصةً، لا يكِلُّون عنها ولا يملُّون منها.

كيفَ وقد سمعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يدلُّهم على غرسِ الخيرِ، وزرعِ البرِّ، وفعلِ المعروف في أشدِّ الساعات اضطراباً وقلقلةً وبلبلةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا» [أحمد]

كيف وقد سمعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يدلُّهم على الاقلاعِ عن الشر، والعودِ عن الخطأ، والتوب من الذنب، مهما كان الذنب كبيراً والشر مستطيراً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«قال الله: يا ابن آدم، إنك ما دَعَوْتَني ورَجَوْتَني: غفرتُ لك على ما كان منك، ولا أُبالي، يا ابنَ آدم، لو بلغتْ ذنوبُك عَنَانَ السماء، ثم استغفرتني: غَفَرْتُ لك، ولا أُبالي، يا ابنَ آدم إنك لو أتيتني بِقُراب الأرض خَطَايا، ثم لَقِيتَني لا تُشْرِكُ بي شيئاً: لأَتَيْتُكَ بِقُرابِها مَغْفِرَة»** [أخرجه الترمذي].

إنَّ التزامَهم بأمرِ الله تعالى ونهيه في السراء ثبَّتَهم وأقامَهم عند الضراء، وإنَّ تمسُّكَهم بالشرع في أوقات الراحةِ أمسكهم عن الزلل في وقت الشدة.

ثالثها– الصحبةُ الصالحةُ لأهل الصبر والثبات:

وذلك لأنَّ عدوى الروح إلى الروح أسرع من عدوى الجسد إلى الجسد، والطبع يسرق من الطبع، والمؤمنُ يشدُّ من عزم أخيه ويصبره ويثبته ويقويه، ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: 29 - 32].

فإخوانُك الصالحون، والقدواتُ والمربون هم العونُ لك في الطريق، والركنُ الذي تأوي إليه؛ فيثبتونك بما معهم من آيات الله والحكمة؛ فالزمهمْ وعِشْ في أكنافهم، وإياكَ وصاحبَ السوءِ فإنَّه يرديكَ، وإياكَ والوحدةَ فتتَخَطَّفكَ الشياطين.

أيها الإخوة:

هذه عواملُ ثلاثةٌ تعينُ على الثبات على الحق، وقد سبق في الخطبة الماضية ثلاثةٌ فصارتْ ستاً:

(اللجأُ إلى الله تعالى، قراءةُ القرآن الكريم بتدبر، التربيةُ الإيمانية العلمية الواعية، الإكثارُ من ذكر الله، التزامُ أمر الله ونهيه، الصحبةُ الصالحةُ لأهل الصبر والثبات).

اللهم يا مقلب القلوب ثبتْ قلوبَنا على دينك، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين